

# أَعْلَمُ بِأَلَدِي

## لَا يَنْقُطُ



وَلَعَدْنِي مَبَارَكٌ نَزَلَ الْوَحْيُ



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث  
رحمةً للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:  
فإن الإنسان في هذه الدنيا يتقلب في معتركات وابتلاءات،  
بين نعم وسراء، وبين محن وضراء، وبين ذنوب وأخطاء،  
فلا بد في هذه الأجواء أن تكون عند العبد نسمة إيمانية  
مهمة، ونور في القلب عظيم القدر، ألا وهو حسن الظن  
بالله **جَلَّ وَعَلَا**.

فإذا أذنب العبد وكثرت ذنوبه، وأخطأ وزلت به القدم  
فليعلم أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** رحيمٌ به، يقبله إذا تاب ورجع  
إليه، فيحسن الظن بربه في أنه يقبله، ويغفر له ذنوبه، ومن  
أوسع وأعظم الآيات رجاء في ذلك قول الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿قُلْ  
يَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ  
الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

فإذا رجعت إلى الله فإن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يفرح برجوعك،  
أيضاً لا بد أن يكون العبد حسن الظن عند المحن  
والابتلاءات، وعند المصائب التي تلمُّ به من موتٍ ونقصٍ  
في الأموال وخوفٍ وجوعٍ وعطشٍ ومرضٍ، ينظر إلى ما  
يصيبه من زاوية غير الزاوية التي تُضيِّق صدره، ينظر إلى  
تلك الابتلاءات من زاوية رحمة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** به، وأن الله  
**سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** قد ابتلاه هذا الابتلاء وصرف عنه ما هو أعظم  
عنه، أو أنه قد ابتلاه ليقربه إليه، أو أنه ابتلاه ليرفع درجاته  
في الآخرة؛ لأنَّه بأعماله لا يصل إلى مرتبة عليا أرادها الله  
**سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** له، فيبتليه ويرفعه، ويبتليه ويرفعه، لذلك  
ينظر إلى هذه الابتلاءات والمصائب من هذا النظر.

وَإِنِّي لَأَرْجُو اللَّهَ حَتَّى كَأَنِّي أَرَى بِجَمِيلِ الظَّنِّ مَا اللَّهُ صَانِعُ  
سَعَادَتِكَ هُنَا فِي قَلْبِكَ، إن أنت أوقدت فيها شمعة  
السعادة بحسن ظنك بربك، قال **عليه السلام** وهذا حديث مهم جداً

قال عليه السلام: « **إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ قَالَ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، إِنْ ظَنَّ بِي خَيْرًا فَلَهُ، وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَلَهُ** » <sup>(١)</sup>.

تأملوا هذا الحديث، إذا ظنَّ العبد بربه الخير جاءه الخير، واندفع عنه الشر، وإذا ظنَّ العبد بربه شرًّا قد يجيئه الشر، لذلك يقول ابن مسعود عليه السلام كلمة جميلة جدًا، يقول عليه السلام: «مَا أُعْطِيَ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ شَيْئًا خَيْرًا مِنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ لَا يُحْسِنُ عَبْدٌ بِاللَّهِ عَزَّوَجَلَّ الظَّنَّ إِلَّا لَا أُعْطَاهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ ظَنَّهُ ذَلِكَ» <sup>(٢)</sup>.

«إِلَّا لَا أُعْطَاهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ ظَنَّهُ ذَلِكَ»، أي: ذلك الظنَّ الحسن الذي ظنَّه بربه، أو الظنَّ السيء الذي ظنَّه بربه.

**فَلَا تَظُنَّنَّ بِرَبِّكَ ظَنًّا سَوْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ أَوْلَى بِالْجَمِيلِ** والظنَّ السوء بالله سبحانه وتعالى محرم، قال: «إِلَّا أُعْطَاهُ اللَّهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ظَنَّهُ ذَلِكَ بِأَنَّ الْخَيْرَ فِي يَدِهِ».

فلا بد على الإنسان أن يحبي هذا الظنَّ الجميل بربه، ومبعث هذا الظنَّ الجميل بربه، ومنطلقه من معرفة العبد بربه **عَزَّوَجَلَّ**، معرفة تكون يقينية، معرفة بأسماء الله وصفاته، وبحكم قضائه وقدره بأن ما فعله الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لما بد وفيه حكمة بالغة وخير للعبد؛ وتأمل قول الله: ﴿ **مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ** ۖ ﴾ [التغابن: ١١].

هذا الذي نبحت عنه عند الأزمات، هذا الذي يبحث عنه القلب عند الابتلاءات، عند المحن، يبحث عن راحته، عن طمأنينته، عن هدايته، عن صلاحه: ﴿ **مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ** ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ ﴾.

ولنقف وقفة عظيمة عند قصة عظيمة من قصص القرآن، لاحظوا قصة يوسف عليه السلام، في بدايتها كاد إخوة

(١) رواه أحمد (٩٠٧٦)، وابن حبان (٦٣٩)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٦٦٣).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله (٨٣).

يوسف بيوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، واجتمعوا على قتله أو طرحه، ثم اتفقوا على رميه في البئر صغيراً يرمى في بئر مظلم، والذي كاد به أقرب الناس إليه .

وْظَلَمَ ذَوِي الْقُرْبَى أَشَدَّ مَضَاضَةً عَلَى الْمَرْءِ مِنْ وَقَعِ الْحُسَامِ الْمُهَنْدِ  
لَمَّا يَظْلِمُكَ الْبَعِيدُ قَدْ لَا يَكُونُ الْأَثَرُ قَوِيًّا، لَكِنْ لَمَّا يَكُونُ أَخًا أَوْ قَرِيبًا لَكَ هُنَا الْأَلَمُ أَشَدُّ؛ لِأَنَّ هَذَا الْقَرِيبَ تَنْتَظِرُ مِنْهُ النِّصْرَةَ وَالتَّأْيِيدَ وَالْمُؤَاوِزَةَ وَالْعَوْنَ بَعْدَ عَوْنِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، تَأْمَلُ كَادَ بِهِ إِخْوَتُهُ، وَرَمَوْهُ فِي الْبُئْرِ، ثُمَّ جَاءَتْ السَّيَّارَةُ فَحَمَلُوهُ وَبَاعُوهُ، فَتَغَرَّبَ عَنِ الْأَوْطَانِ، وَابْتَعَدَ عَنِ الْأَهْلِ وَالْخِلَانِ، وَاشْتَرَاهُ عَزِيزُ مِصْرَ، وَابْتَلَى كَمَا فِي قِصَّةِ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ، وَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بَضْعَ سِنِينَ .

انظر إلى هذه الابتلاءات، كيف نظر إليها يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، يتبين ذلك في آخر القصة: ﴿وَقَالَ يَتَابَتَ هَذَا تَوَلَّى رَءْيَى مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رُبِّي حَقًّا﴾ [يوسف: ١٠٠] .

لم ينظر يوسف إلى تلك المحن التي مرَّ بها، ولكن نظر إلى الخاتمة، نظر إلى ما تحقق في الختام لاحظ: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيَ﴾، أي: الله أحسن به ﴿إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ﴾. انظر إلى هذه النظرة الإيجابية الجميلة، بعض الناس ينظر إلى الألم، لا ينظر إلى نهاية الأمل، فيقول في مثل قصة يوسف: أنا دخلت السجن أنا خرجت من بيتي، وطُردت وضُربت ورُميت في البئر وسُجنت، ولكن حسن الظن لا يجعلك تنظر إلى هذه بل تنظر إلى الجانب الإيجابي، قال: ﴿إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾، وأيضًا: ﴿وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ﴾ إلى مكانٍ فيه حضر وبنيان، وفيه أمن، وأرجع أمر الفتنة إلى الشيطان: ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ .

ومبعث هذا الأمل وحسن الظن والنظر الجميل: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾ الله جَلَّوَعَلَا لطيفٌ بعباده، رحيمٌ بهم، قال:

﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ .

ولو نظرنا إلى قصة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ أيضًا من مشهد آخر، يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ أخبر بأن الذئب أكل أحب أبنائه، فردة الفعل هنا قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ١٨] ، تأمل هذا الصبر، صبرًا لا تضجر فيه، ولا شكوى، ولا تسخط مع أنه تلت هذه المصيبة مصيبة أخرى وهي أن ابن يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ الثاني أخذ، فقال أيضًا يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ [يوسف: ٨٣] .

يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ مرّت عليه سنوات كثيرة جدًا حتى أصبح على خزائن مصر، لكن انظر إلى ذلك الأمل الذي في القلب: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ ، انظر إلى المبعث الإيماني في معرفته لأسماء الله وصفاته، الله عليم بحالي وحالهم، وأين هم، وحكيم في ما صار وحدث، وسيرجعهم بإذنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مع أنه كان في ألم شديد، من شدة هذا الألم: ﴿وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٨٤] ، حتى أن أبنائه عاتبوه: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوْا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ [يوسف: ٨٥] ، تهلك وتموت، وحالك يضعف بسبب ذكراك يوسف، فرد عليهم ردًا إيمانيًا: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦] ، كلُّ حزنٍ وأسى وألم أرفعه إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إن رفعته إلى الله رفعته إلى حليم لطيف قادرٍ قويٍّ عزيزٍ، إن ظلمت فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ينصرك، إن كسرت فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يجبرك، إن تغرّبت فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُسْكِنُ وحشتك.

﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ هذا العلم بالله هو الذي جعله حسن الظنّ بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لهذا اتبع حسن الظن العمل يقول: ﴿يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ [يوسف: ٨٧] ، لازال الأمل

مَوْجُوداً : ﴿وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ أهل الإيمان لا ييأسون من رحمة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، فمع كل هذه الأخبار المؤلمة، والابتلاءات المتوالية إلا أن الأمل بالله كبير، والرجاء به عظيم، وحسن الظن به كبير، فهكذا فليكن المؤمن حسن الظن بربه، مهما اجتمعت عليه الأحزان، ومهما توالى عليه الآلام، فلا بد من نور من الله يجلو به ذلك الظلام، وينفتح به طريق الآمال.

هَوْنٌ عَلَيْكَ فَكُلُّ الْأَمْرِ يَنْقُطِعُ      وَخَلَّ عَنْكَ ضِبابُ الْهَمِّ يَنْدَفِعُ  
فَكُلُّ هَمٍّ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ فَرْجٌ      وَكُلُّ كَرْبٍ إِذَا مَا ضَاقَ يَتَسَّعُ  
إِنَّ الْبَلَاءَ وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ      الْمَوْتُ يَقْطَعُهُ، أَوْ سَوْفَ يَنْقُطِعُ

لا تجمع على قلبك أَلَمَيْنِ، لا تُوجد في قلبك حُزْنَيْنِ، لا تجمع في قلبك أَلَمَ الْإِبْتِلَاءِ وَأَلَمَ الْبَعْدِ عَنْ اللَّهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، لا تجعل في قلبك حُزْنَيْنِ، حزن ذلك الْإِبْتِلَاءِ أَوِ الْمُصَابِ، وحزن فوات الأجر العظيم الذي يمتن به الله على العبد في تلك المصائب.

هذه الدنيا - حفظكم الله - لا تصفو لأحد، وهي قصيرة الأمد، فإن أردت أن تكون في راحةٍ وسعادة فكن فيها مع الله الواحد الأحد.

وَاللَّهُ مَا لَكَ غَيْرُ اللَّهِ مِنْ أَحَدٍ      فَحَسْبُكَ اللَّهُ فِي كُلِّ لَكِ اللَّهُ  
أَسْأَلُ اللَّهَ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أَنْ يُوَفِّقَنَا لِكُلِّ خَيْرٍ، وَأَنْ يَحْفَظَنَا بِحَفْظِهِ، وَأَنْ يَشْرَحَ صَدُورَنَا، وَيَسْعِدَ قُلُوبَنَا، وَأَنْ يَغْفِرَ ذُنُوبَنَا، وَأَنْ يَحْفَظَ وَلاَةَ أَمْرِنَا.

وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .